



السياسية الأمريكية يثبت بالأمثلة التاريخية أن الدين ساهم في الكثير من الحركات الشعبية التقدمية التي ساد الاعتقاد أنها من صنع العلمانيين فقط، والثاني عرض ختامي لآراء المساهمين في الندوة يستخلص منها أبرز أفكارها وما تنطوي عليه في محاولة لإعادة النظر في علاقة الدين بالدولة العلمانية والمجال العام.

تاريخ سعد

المخيال التاريخي المسيحي في العراق أواخر العصور
القديمة

للدكتور فليب وود

قراءة نصير الكعبي

صدر للزميل الدكتور فليب وود عن جامعة أكسفورد ضمن سلسلة دراساتها المختصة بتاريخ المسيحية المبكرة كتاب "تاريخ سعد: المخيال التاريخي المسيحي في العراق أواخر العصور القديمة" The Chronicle of Seert: Christian Historical Imagination in Late Antique Iraq. والكتاب الصادر باللغة الإنكليزية ٢٠١٣ هو عبارة عن مشروع دراسة مابعد الدكتوراه قضى معه مؤلفه أكثر من عامين لإنجازه فتكون من ٣٢٠ صفحة بقياس سم ٦، ٢٣ X ٤، ١٦ X ٢.

والدراسة في فكرتها العامة تميل إلى استخراج أو استيعاب تاريخ العراق والمسيحية في العصر الساساني والإسلام المبكر، وقد استعمل المؤلف اصطلاح (Late

والمخطوطات القديمة وطباعتها). طبع الجزء الأول والثاني بأربع دفعات في السنوات (١٩٠٧-١٩٠٨ - ١٩٠٩-١٩١٨) في باريس، كما طبع مرة أخرى باللغتين العربية والفرنسية، سنة ١٩٨١ من قبل مؤسسة بلجيكية.

وقد كتب هذا التاريخ بلغة عربية ركيكة، ولا بد أنه كان يمتد من بدء المسيحية إلى منتصف القرن السابع أو إلى زمان المؤلف نفسه، إلا أن المخطوطة مخرومة في بدايتها ولا يوجد منها إلا منذ عهد فالريانس الإمبراطور (٢٥٣-٢٦٠). كما أن فترة ما بين سنة ٤٢٢ و ٤٨٤ ضاعت، لأن المخطوطة ناقصة من نهاية الجزء الأول وبداية الجزء الثاني. وعلى الرغم من ضعف بعض روايات الكتاب، فهو وثيقة ذات أهمية في دراسة تاريخ العراق والمسيحية منذ القرن الثاني إلى القرن السابع الميلادي. وقد أهدى أدي شير هذه المخطوطة السعدية المرقمة ١٣٨ إلى مكتبة باريس الوطنية، وهي الآن المخطوطة العربية المرقمة ٦٦٥٣. وقام الأب جان فييه بوضع فهرس فرنسي للقسم الثاني من هذا التاريخ المطبوع الذي كان خلواً من فهرس.

واللافت للنظر أنه خلال وضع الأب بطرس حدّاد فهرس مخطوطات مكتبة الرهبان الكلدان في الدورة بغداد، عثر على الجزء الآخر من هذا الكتاب، وقام بنشره تحت عنوان مختصر الأخبار البيعية بشكل منفرد ثم أعيد طبع الكتاب مجدداً عام ٢٠١٠ في كردستان العراق مع الجزأين الآخرين لتاريخ سعرد. والدراسة التي أقامها الدكتور فليب وود ارتكزت بشكل أساس

(Antique) أو آخر العصور القديمة، وهو اصطلاح اعتادت الدراسات البيزنطية استعماله تعبيراً لتاريخ الإمبراطورية البيزنطية الشرقية للمدة بين القرن (٢-٧م) أو (٣-٨م). ومن الممكن مقارنة تلك المرحلة بالعصر السابق للإسلام من تاريخ العرب اعتماداً على مروية تاريخ سعرد الذي ينتمي إلى التراث المسيحي العربي، ولهذا النص ومخطوطته تاريخ مثير حول صاحب المخطوط. فلا يعرف مؤلفه؛ لكن يرجح أن يعود زمن المخطوط إلى القرن الحادي عشر؛ لورود أخبار فيه عن عصر الخليفة الظاهر سنة ١٢٢٦ بطريقة توحي أن المؤلف أو ربما الناسخ قد عاش في تلك المرحلة، واختلف بعض الباحثين في تحديد ذلك الزمن الدقيق لهذا المصنف، تبعاً لطبيعة الأدلة التي أوردوها.

وقد عثر أول مرة المطران أدي شير عام ١٩٠٢ على مخطوطة تاريخ سعرد في مكتبة البطريركية الكلدانية في الموصل وقام بنسخها بخط يده، وهي تتكون من قسمين؛ اختصت مخطوطة الجزء الأول بذكر أهم الأحداث والوقائع للفترة (٣٦٤-٤٢٢م). وشاءت الأقدار أن يعين الأب أدي شير كمطران لكنيسة سعرد في شمال كردستان، ليجد هناك الجزء الثاني من المخطوطة في مكتبة مطرانية سعرد التي وثقت أهم الأحداث والوقائع للمدة (٤٨٤-٦٥٠م). حُققت هاتان المخطوطتان من قبل المطران أدي شير، ثم نشرت لأول مرة بالتعاون بينه وبين بعض رجال الدين المستشرقين مثل: (ج. ثيرية J. Périer)، (رينيه كرافان Graffin)، (فرانسوا نو Nau) و (روبير غريفو Griveau) المختص بالأرشفيف

بمدرسة المدائن. وخصّ الفصل الخامس من الدراسة بمعالجة التاريخ البيزنطي الكنسي والعالم الساساني ركز فيه على مفهوم الهوية والرؤية المقدمة من تلك المصادر الغربية تجاه الشرق (الإمبراطورية الساسانية). فيما عنون الفصل السادس بـ وراء المدائن: الأديرة والنبلاء في تاريخها المسيحي أي: الرواية التاريخية المسيحية المدنية المنتجة في العاصمة طيسفون، وحاول الباحث في هذا الفصل أن يتابع نوعية الصور المكونة عن طبقة النبلاء والأشراف في الدولة الساسانية بوصفها جزءاً مهماً وربما أحياناً موازياً للصور المكونة عن الشاهنشاه الساساني.

وكان موضوع الفصل السابع: الحرب العظمى الأخيرة في أواخر العصور القديمة بين فارس وبيزنطة وردود الفعل لمسيحيي العراق. ركز في هذا المقطع من الدراسة على فكرة التدوين التاريخي في المصنفات المسيحية، ولاسيما ما جاء في تاريخ سعرد، مع مسعى للتعرف والكشف عن الظروف والسياقات التاريخية المساهمة في بناء تلك الصورة. فيما ختم الدراسة بفصل عنونه كنسية بغداد: التاريخ الجديد لمسيحيي العراق ركز فيه على المرحلة البرزخية بين أفول الإمبراطورية الساسانية وظهور الإسلام وطبيعة تعاطي الأخير مع المسيحية مقارنة ببقية الديانات الأخرى. وقد ذيل الدراسة بخاتمة مركزة لأهم النتائج التي توصل إليها، مع قائمة تخصصية وتفصيلية بالمصادر المعنية بدراسة تاريخ مسيحيي العراق في العصر الساساني ومرحلة الإسلام المبكر.

على رواية هذا الكتاب مع إدخاله لعنصر المقارنة المستمر مع المصادر السريانية الأخرى والمصادر البهلوية والفارسية والبيزنطية. ودمجت الدراسة بين المنهج الوصفي والتحليلي المقارن؛ لكنها أخذت في تقسيماتها الطابع الحولي لمروية تاريخ سعرد الذي ترتبت موضوعاته بحسب الحول أو التعاقب الزمني وتحديداً أساقفة الكنيسة الشرقية.

وقد اختصت المقدمة في البحث في تاريخية المخطوط واكتشافه مع محاولة جادة لإيضاح طبيعة السياق التاريخي التي تناوله ولاسيما تاريخ الدولة الساسانية، إذ ركز على الجغرافية الإدارية والدينية التي عاشتها المنطقة إبان ذلك العصر. فيما عنون الفصل الأول من الدراسة بـ "المنشقون والمتعاونون" تناول فيه مجمع عام ٤١٠ والحوادث المرافقة له وعرضاً للاضطهاد الذي تعرضت له المسيحية في عصر الملك الساساني بهرام والملك يزديكرد. فيما حمل الفصل الثاني عنوان الشهداء الكاثوليك وأعمال سمعان وإعادة اختراعهم، وتناول في الفصل الثالث تاريخ البطيركية ونشأة السرد القصصي بوصفه تجلياً لأحد أنواع الأدب فيها، ومما يميز هذا الفصل انه قارن بين مروية الجزأين لتاريخ سعرد وبين كتاب مختصر الأخبار البيعية الذي نشره الأب بطرس حداد.

وكانت موضوعة الفصل الرابع حول الكنيسة العالم اذ درس المؤلف العلاقة الدينية والعلمية والاجتماعية بين كنيسة العراق والمدارس الفكرية والدينية المحيطة ببلاد ما بين النهرين ولاسيما مدرسة نصيبين وعلاقتها